هذه الصفحة تقدم اضاءة للقارىء العراقي من الصحافة العالمية ولاتعبر المقالات الواردة فيها بالضرورة عن رأي ( )

طبق الاصل

من اعمال الراحل مؤيد نعمة

اللعب علـــى الجمـــاهير

*بقلم : مارك بودين
ترجمة : زهير رضوان

قبل ربع قرن من الان بالضبط ، طرأت في رأس خمسة طلاب جامعيين ايرانيين فكرة السيطرة على السفارة الامريكية في طهران وتنفيذ اعتصام فيها.
من بين هؤلاء كان محمود احمدي نجاد ، الرئيس الايراني الحالي ، وحبيب الله بيتراف ، وزير الطاقة الحالي. السيطرة على السفارة لم تتم على النحو الذي تصوره الطلبة المخططون- فقد كان احمدي نجاد نفسه معارضاً لهذه الخطوة منذ البداية- لكنها كخطوة رمزية ، لم تعزل ايران عن بقية العالم فحسب ، بل حشدت ايضاً ملايين الايرانيين خلف فكرة مستقبل اسلامي صارم. ازمة الرهائن الناشئة عن ذلك لفتت انتباه العالم ، لكن تبعاتها المهمة والباقية حتى الان كانت محلية : لقد منحت رجال الدين الواسطة للاستيلاء الكامل على السلطة.

انها ستراتيجية سياسية قديمة، ان تحدد عدداً اجنبياً، تفتعل ازمة ومن ثم تلف نفسك بالعلم. المواجهة الحالية مع ايران بشأن برنامجها النووي هي مثال على كيفية تناغم التاريخ.
كان من الصعب على الامريكيين ان يصدقوا، ففي تشرين من عام ١٩٧٩كان المستقبل الثيوقراطي الايراني غير مؤكد. لقد كانت هناك ثورة، بالطبع، لكن العديد من القوى المختلفة كانت قد شاركت بالاطاحة بالشاه محمد رضا بهلوي. شبكة المسجد، التي اوغلت جذورها عميقاً وامتدت خلال سنوات القهر السياسي، وفرت القوة الشعبية؛ لقد كانت القوة التي دفعت بالملايين الى الشوارع. لكن برغم الحماس المتقد والمهابة الساحقة لآية الله الخميني، فان ايران الجديدة كان يمكن ان تتبنى أياً من الهويات المتعددة.
من بين اولئك الذين اطاحوا بالشاه كان الشيوعيون، القوميون الاشتراكيون وآخرون- العديد من هؤلاء كان قد تصور على الاقل نكهة الديمقراطية. بعض هذه المجموعات كانت منظمة تنظيماً عالياً ومولة جيداً، خاصة حزب توده، وهو الحزب الشيوعي الايراني. هذه المجاميع كانت لها افكار مختلفة بشأن ايران الجديدة، لكنها كانت متحدة في تفضيلها دولة علمانية.
الامام الخميني نفسه كانت تتنازعه فكرتان حول الموضوع: لم يتول السلطة فور عودته الضافرة الى ايران من باريس بل انسحب الى مدينة قم المقدسة، معيناً حكومة انتقالية جميع رجالها من القادة السياسيين العلمانيين الذين كانوا يحيطون به في منفاه، ومنشئاً مجلساً ثورياً لكتابة دستور ايران الجديد.
الشباب الايرانيون المثاليون الذين استولوا على السفارة الامريكية ذلك الشهر احتجزوا ٥٢ امريكياً كرهائن لاكثر من عام، أرادوا ثورة اسلامية كاملة. لقد واجهوا منافسة كثيفة في الحرم الجامعي من حزب تودة والمجاميع العلمانية الاخرى. ولشعورهم بتفوقهم العددي، شكلوا جماعة "تقوية الوحدة" لتضم الطلبة الاسلاميين المشتتين في انحاء المدينة ليكونوا قوة واحدة.
في ظل الفوضى والعنف الذي اعقب الثورة، كان هنالك الكثير من المؤامرات. كان احمدي نجاد يخشى أكثر من تأثير حزب تودة، وجادل بان افضل سفارة يجب احتلالها هي سفارة الدولة التي ترعى حزب تودة؛ سفارة الاتحاد السوفياتي. لكنه خسر السجال امام جماعته التي شعرت بان التهديد الأعظم كان امريكا، الدولة التي دعمت الشاه لاكثر من ٢٥ عاماً.
لكن ما افرزته السيطرة على السفارة كان يفوق توقعات مدبريها. لقد قوبلت بحماس متطرف في جميع انحاء ايران. وفي طهران نفسها، انطلق مئات الآلاف من المواطنين الفرحين الى الشوارع وهم يرقصون على العلم الامريكي ويحرقون تماثيل جيمي كارتر. لقد كانت حفلة تطهير عظيمة قضت على جميع بقايا الهيمنة الامريكية.
آية الله الخميني، الذي كان رد فعله الاولي بشأن الاستيلاء على السفارة هو طرد الطلاب، لكنه تراجع عن ذلك عندما سمع تقارير التأييد الشعبي لهذا العمل. اما الطلاب المحتلون، والذين اصبحوا ابطالاً بين ليلة وضحاها، اسرعوا في "اخراج" دليل على التلفزيون الايراني لإثبات ادعائهم على ان الأمريكيين كانوا بصدد التخطيط لانقلاب مضاد.
طوال سنوات، كانت الولايات المتحدة تستخدم قاعدتها في طهران في تنسيق عملياتها التجسسية ضد دول جنوب الاتحاد السوفياتي، لهذا كان هناك الكثير من معدات التجسس عالية التقنية في السفارة والتي اظهرها الطلاب امام عدسات الكاميرا.
جميع الامريكيين الذين احتجزوا في السفارة وصموا بالتجسس، من ضمنهم حرس السفارة وطاقم السكرتاريا. وادعى الطلاب بانهم لم يحتلوا السفارة الامريكية فحسب بل كشفوا واحبطوا مؤامرة شريرة لتدمير الثورة باغتيال الامام الخميني .
التأثير المباشر لهذا كان انهيار الحكومة المؤقتة. فقبل اسبوع من السيطرة على السفارة، كان رئيس الوزراء مهدي بزركان ووزير خارجيته ابراهيم يزدي قد قابلا ، وبشكل غير رسمي، مستشار الامن القومي الامريكي زبنغيو بريجنسكي في الجزائر للبحث عن ارضية جديدة للعلاقة بين بلدين كانا حليفين لسنوات طويلة. بعد الاستيلاء على السفارة، كشفت هذه اللقاءات ونشرت في الصحف، وبدت كأجراء خبيث. عندما اصطف الامام الخميني الى جانب الطلبة والى جانب مزاعمهم بوجود مؤامرة امريكية، بات من الواضح ان الخطر قد فتح ابوابه امام السياسيين العلمانيين. واستقال السيد بزركان وحكومته.
يوماً إثر يوم، بدأ الطلاب بعقد مؤتمرات صحفية بثت في ايران، وفي بعض الاحيان بثت هذه المؤتمرات في جميع انحاء العالم، وبينما كانت الولايات المتحدة تركز اهتمامها على مصير الرهائن، كانت هنالك دراما مختلفة تجري داخل ايران. مستغلين ملفات تم الاستيلاء عليها من داخل السفارة، وجه الطلاب افتراءاتهم الى السياسيين العلمانيين متهميهم بالخيانة والتجسس.
لقد كان هنالك مبرر لخوف الطلاب من المنافسة. كان لايزال هناك دعم قوي لحكومة علمانية أخرى، وبعض الشخصيات الإدارية لاتزال تحظى بالشعبية. ابو الحسن بني صدر، الوزير في الحكومة المنهارة، انتخب رئيساً اوائل عام ١٩٨٠ ابو الحسن بني صدر ووزير خارجيته صادق قطب زاده، ابديا غضبهما من حاجزي الرهائن في الأشهر الاولى لتوليهما منصبيهما. وحاولا، دون جدوى، ترتيب امر نقل الرهائن الى مركز حجز حكومي، وادانا علناً الطلاب، حتى بعد ان بدأت المؤتمرات الصحفية في السفارة بإصدار بيانات شجب لوزراء الحكومة.
لكن حينها كان الوقت قد فات؛ وصف ابو الحسن بني صدر اخيراً بالجاسوس، ويعيش الان في منفاه في باريس. السيد قطب زاده، الذي التقى سراً ولمرات عديدة مع هاملتون جوردان، رئيس هيئة الاركان الامريكية، في مسعى لانهاء أزمة الرهائن بطريقة سليمة، اعتقل واعدم عام ١٩٨٢,
لكن ما شأن كل هذا بالأزمة النووية الحالية؟ احتلال السفارة الامريكية عام ١٩٧٩، نظر اليه اغلب الامريكيين كتحد لسلطتنا العالمية، وكإعلان من الثوريين الإيرانيين بأنهم راغبون في تصدير ثورتهم خارج حدود ايران. في الواقع، لقد كان احتلال السفارة في الأساس مجابهة أعدت وأديرت بشكل جيد بهدف تثبيت رجال الدين في السلطة بإحكام. اليوم، اختار الرئيس احمدي نجاد معركة جديدة مع الولايات المتحدة الأمريكية. حتى الايرانيين الذين يعارضون الثيوقراطية يفضلون الانضمام الى النادي النووي؛ انه يضيف الى الهيبة الوطنية ويعزز الامن الايراني. في المسعى العلني للقوة النووية وتحدي الرأي العام العالمي، يقوم الثوريون القدامى بتعزيز مركزهم في الداخل باللجوء الى "الوطنية" والى مخاوف الغزو أو الهجوم الأجنبي.
ولماذا لا يفعلون ذلك؟ فقد نجحوا في السابق!

*مارك بودين هو مؤلف كتاب "سقوط البلاك هوك" وهو قصة التدخل الامريكي الفاشل في الصومال، وكتاب "ضيوف آية الله" عن أزمة الرهائن في السفارة الأمريكية في طهران.

التقارير المتحيزة هي التي تؤخر نهاية المآسي في دارفور

بقلم / جونثان ستيك
ترجمة / مروة وضاء

وانت تقرأ هذا، ربما تصلك اخبار جيدة من افريقيا. فقد تسمع بتوقيع اتفاقية سلام من اجل دارفور. المكان الذي كثيرا ما يقارن براوندا التي تجاهل المجتمع الدولي التحذيرات بالابادة الجماعية التي كانت تحصل فيها. فاذا حدث ذلك الاتفاق في اخر دقيقة من منتصف الليلة الماضية سيفاجئ معظم الناس حيث ومع استثناءات قليلة جدا تجاهلت الصحافة العالمية المفاوضات التي تتقدم ببطء في ظل وساطة الاتحاد الافريقي في ابوجا عاصمة نيجيريا.
انا ادعوه بانفصال دارفور. يقوم مراسل تلفزيوني بعد الاخر بالسفر الى منطقة غرب السودان تصحبهم الجماعات المتمردة والنتيجة صور للاجئين البؤساء المحتشدين في خيم وملاجئ من الذين يسردون قصصاً عن المعاملة الوحشية لميليشيا الجنجاويد المدعومة من الحكومة. حيث يتذمر المعلقون باعلى اصواتهم مطالبين بفرض العقوبات ضد النظام في الخرطوم ويشجبون ويندون بالزعماء الغربيين لعدم تخويل منظمة حلف الشمال الاطلسي بالتدخل.
اخذ الغضب منحى جديدا الاسبوع الماضي حيث خرجت تظاهرات كبيرة في عدة مدن امريكية مصورة النزاع في دارفور على انه وجه اخر من وجوه الاصولية الاسلامية الهائجة ضد المسيحيين مطالبين الرئيس بوش بالتوقف عن المماطلة وان يكون اكثر صرامة مع الحكومة في السودان.
ان التقارير الحكومية ليست خاطئة لكنها تقدم الصورة من جهة واحدة متجاهلة القصة الاهم: الاحاديث عن ان افعال المتمردين التي تصب لمصلحة الحكومة ونفس الشيء بالنسبة للتعليقات الصحفية. فلماذا المطالبة بالتدخل العسكري في الوقت الذي تدخل فيه قادة الغرب على نحو ايجابي بدفعهم الجانبين للوصول الى تسوية؟ لقد قامت الولايات المتحدة بمساعدة بريطانيا في الايام القليلة الماضية باخذ دور الاتحاد الاوربي كوسيط وادته جيدا. كان روبرت زولك الرجل الثاني في وزارة الخارجية وهيلاري بن وزيرة التنمية البريطانية في ابوجا يحثان الثوار على ان لايضيعوا فرصة السلام هذه.
حيث قبلت الحكومة السودانية مسودة الاتفاقية الاسبوع المنصرم بوساطة من الولايات المتحدة في حين يخاطر الثوار بانهيارها.
من الصعب فهم السبب. حيث اعطى نص المسودة غير المنشور بعد والذي قراته هذا الاسبوع، الثوار معظم مايقاتلون من اجله. ففي العديد من اعمال التمرد كالتمرد في ايرلندا الشمالية على سبيل المثال يطالب المتمردون بالسماح لهم بالظهور والانضمام الى العملية السياسية مع او بدون العفو. بينما في اتفاق دارفور للسلام اعترفت الحكومة بسيطرة المتمردين على مناطق كبيرة من الاراضي التي بقيت تحت سيطرة قوات الحكومة خلال الفترة الانتقالية. يعتبر هذا اعترافاً مذلاً بخسارة السيادة. كما وتضمنت الاتفاقية وجوب نزع سلاح ميليشيا الجنجاويد قبل نزع سلاح المتمردين. وستشرف قوات حفظ سلام من الاتحاد الافريقي على امن معسكرات الناس المرحلين في حين ستقيد صلاحيات قوات الحكومة.
ان تهميش دارفور (الذي كان احد المسائل التي ادت الى النزاع) سيكون محور تخصيصات ميزانية السودان الاضافية.و سيعطي التصرف المؤكد وظائف الخدمة الحكومية للدارفوريين. وسيحتفظ المتمردون بحق ترشيح حاكم احدى ولايات دارفور الثلاث. ونائبي حاكمي الولايتين الاخريين. كما وستكون المناصب العليا في ادارة السودان الرئاسية في الخرطوم من نصيبهم.

فلماذا اذن هم مترددون بالموافقة؟ هنالك سبب واحد - قلما ذكر في وسائل الاعلام التي تصور المتمردين على انهم ابطال وهو انهم منقسمون بشدة. فقد توسعت مؤخرا الانشقاقات على طول الاختلافات العرقية و ادت حتى الى اصطدامات مسلحة فيما بينهم. وهنالك تقارير تفيد بان المتمردين انفسهم يستخدمون اسلوب ميليشيا الجنجاويد العنيف مقتحمين على الجمال قرى بعضهم البعض. كما وانهم متهمون بمنع وصول المساعدات الى المرحلين. اتهمهم جان بورك ممثل الامم المتحدة الخاص هذا الاسبوع بتعريض ٤٥٠,٠٠٠ شخص للخطر عن طريق هجمات على عربات وكالة الامم المتحدة ووكالات الاغاثة الانسانية غير الحكومية.
يمكن ان تكون المعالجات الاعلامية ذات النظرة الضيقة قد شجعت المتمردين على زيادة مطالبهم. تساهم التقارير التلفزيونية في جلب الانتباه والضغط للقيام بحل تجاه العديد من النزاعات المنسية. لكن في حالة دارفور قد يكون لها تأثير سلبي يساهم في تأخير فرصة انهاء القتل.
على الاقل كانت الحكومات الغربية اكثر اعتدالا. فلقد قبلت بمسؤولية الحكومة السودانية عن الاعمال الوحشية الاولية ضد هجمات الثوار الاولى قبل ثلاث سنوات.
قامت حكومة الخرطوم بتسليح الجنجاويد وريما ولما تزل تسيطر على بعضهم. يخشى مسؤولو الامم المتحدة انه من دون اتفاق سلام قد تهاجم قوات الحكومة غيرديا المدينة التي يسيطر المتمردون عليها معرضين ١٠٠,٠٠٠ شخص آخر للرحيل. لكن الان تلوم كل من الولايات المتحدة وبريطانيا والامم المتحدة المتمردين على الاعمال الوحشية وتعطيل عملية السلام. وضع مجلس الامن الدولي الاسبوع الماضي حظراً للسفر الدولي على اربعة اشخاص متهمين بتنفيذ الجرائم الفعلية في دارفور. اثنان منهم كانوا من زعماء المتمردين. كان الوسطاء الغربيون في ابوجا منصفين بشكل واضح . حيث دعا وزير الخارجية البريطاني جاك سترو في زيارته قبل شهور المتمردين الى ان يكونوا واقعين ومستعدين للمساومة.
هنالك شعور متزايد بان وزارة التنمية الدولية لاتستطيع ان تكون مجرد جسم يعالج اعادة البناء والاغاثات الانسانية لما بعد الحرب. حيث يعتبر حل النزاعات او منعها من التدهور من مهام وزارة التنمية الدولية ايضا - فهي منخرطة في السياسة كما في المساعدات.
قامت وزارة التنمية السنة الماضية باخذ دور القيادة في الحكومة البريطانية بقطع التمويلات عن الحكومة بسبب قمعها لنشطاء المعارضة. ذهب العديد الى المحاكمة في اديس ابابا هذا الاسبوع حول التهم غير المنطقية ب" الابادة الجماعية" في المظاهرات المفتعلة والتي قتلت قوات الشرطة فيها اكثر من ٤٠ شخصا. ويعتبر دور بن في محادثات دارفور خطوة مهمة اخرى.
اذا وقعت اتفاقية دارفور للسلام بحلول الموعد النهائي الذي وضعه الوسطاء ستكون الازمات بعيدة جدا عن نهايتها. فمساعدة ٢ مليون شخص مرحل للعودة الى منازلهم يستلزم وقتا وعناية واموالاً. فلا يجب ان يكون هنالك دارفور منفصلة اخرى هذه المرة بين الفرحة باتفاقية السلام والفشل بمتابعتها ورؤيتها تطبق. تشتكي وكالات الامم المتحدة الكبيرة من قلة التمويل.
حيث توجب على منظمة برنامج الغذاء العالمي بتقليل حصص الجياع الى النصف. وقالت اليونيسيف انها لم تحصل الا غلى ١٥٪ من احتياجاتها. سيحتاج الاتحاد الاوربي الى المساعدات المالية لتحقيق متطلبات عملية مراقبة وقف اطلاق النار التي تستلزمها اتفاقية السلام.
رغم ذلك قد لا تضرب تلك الصفقة. وتكون اخبار هذا الصباح كئيبة بعد هذا كله. واذا كانت هذه هي الحالة فيجب على المتظاهرين في اميركا ووسائل الاعلام والتصوير في العالم ان يركزوا غضبهم على المتمردين بدلا من الحكومة في الخرطوم.

عن : الغارديان